المحاضرة الثالثة: مقارنة بين البحوث الكمية والكيفية

محتوى المحاضرة:

- أوجه التشابه بين البحوث الكمية الكيفية
- أوجه الاختلاف البحوث الكمية الكيفية
- استخدام المنهجين في البحوث العلمية

أهداف المحاضرة:

- إزالة الغموض أو الإلتباس بين البحث الكمي والبحث الكيفي بالتركيز على أوجه الاختلاف بينهما
- تكوين خلفية معرفية حول الفرق بين البحث الكمي والبحث الكيفي

جاءت هذه المحاضرة لتقديم مقارنة بين البحثين الكمي و الكيفي وذالك لمحاولة الإجابة على التساؤل المطروح: ما هي أوجه الاختلاف والتشابه بينهما؟ ومتى نستخدم المنهجين؟

I- أوجه التشابه بين البحوث الكمية الكيفية :

كلاهما عبارة عن منهج يتضمن جملة من الخطوات والإجراءات، تعتمد عليه الدراسات والبحوث السوسيولوجية والاعلامية ولا تستطيع الاستغناء عن كلاهما معا.

II- أوجه الاختلاف البحوث الكمية الكيفية :

1- الاختلاف في المنطلقات والدوافع الاجتماعية: حيث يتبنى البحث الكمي نظرة تفترض وجود حقائق اجتماعية موضوعية معزولة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد، ويتم قياسها بأدوات مناسبة تتوفر فيها الخصائص الأساسية من صدق وثبات. إلا أن البحث الكيفي يفترض وجود مؤثرات عدة، يتم بناؤها اجتماعيا من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات للموقف. فهناك دوافع(اجتماعية وثقافية وعرقية ودينية...) تؤثر في المواقف، لذا يحاول الباحث في البحث النوعي فهم الظاهرة وهي في ظروفها التي تمت وحدثت فيها. (فريد كامل أبو زينة وآخرون، 2007، ص 32).

ويستخدم البحث الكمي في المجالات التي يتبين للباحث أن الأساليب والمقاييس لا تستطيع وصف أو تفسير المشكلة أو الحالة المعروضة.

فالبحث النوعي ينظر إلى سلوك الإنسان على أنه من التعقيد بحيث يصعب فهمه بتلك الطريقة.

من جانب آخر يسلم البحث الكيفي بأن السلوك الإنساني يكون مرتبط بالبيئة التي تجري بها نشاطات ومعالم البحث، ويعيش فيها المبحوثين.

وهناك تأثيرات اجتماعية وثقافية وتاريخية على الخبرات الإنسانية. بينما تدعو البحوث الكمية إلى عزل السلوك الإنساني عن المحيط الذي يتواجد فيه الأفراد المعنيين بالبحث.

2- هدف البحث الكمي يختلف عن هدف البحث الكيفي: تهدف البحوث الكمية إلى اختبار بعض الفرضيات التي تتعلق بوصف واقع معين، من خلال بناء علاقات وقياس بعض المتغيرات، واستخدام البيانات المتوافرة لإيجاد علاقة ارتباطية أو سببية. كذلك تحاول الدراسات الكمية التوصل إلى عموميات غير مرتبطة بالسياق الذي تنفذ فيه الدراسة. كما يهدف إلى تعميم نتائج البحث على حالات أخرى.

أما البحث الكيفي ليس هدفه اختبار الفرضيات وإنما تكوين الفرضيات، أي أولوية البيانات والميدان على الفرضيات، فالفرضيات تكشف وتكون من خلال الدراسة الميدانية.(كمال عبد الحميد زيتون،2006،ص38)

فالهدف الرئيسي للبحث النوعي فهم الظاهرة الاجتماعية من منظور المشاركين أنفسهم، ومن خلال معايشة الباحث لحياة المشاركين العادية. حيث يعتقد الباحثون في الجانب الكيفي أن الأفعال الإنسانية وآراء الأفراد ومعتقداتهم تتأثر بالمواقف والبيئة التي تحدث فيها. ومن خلال الإطار الذي يفسر فيه الأفراد أفكارهم ومشاعرهم وأفعالهم. ويتم التوصل إلى هذا الإطار من قبل الباحث خلال جمع البيانات وتحليلها. ولا يهدف البحث الكيفي إلى تعميم النتائج. بل توسيع نتائج الحالة التي كثيرا ما تقود إلى مواقف وحالات قد تكون مشابهة.(عامر قنديلجي،إيمان السامرائي، 2009، ص ص 62-63).

3- منهجية وخطوات البحث أكثر مرونة من إجراءات وخطوات: حيث تجرى البحوث الكمية وفق إجراءات وخطوات تتابعية، ومخطط معد إعدادا محكما مسبقا، يسترشد به الباحث. أما الدراسات الكيفية فهنالك قدر أكبر من المرونة فيما يتعلق بخطة البحث. (ذوقان عبيدات . سهيلة أبو سعيد،2002، ص 159)

فالباحث في البحث الكيفي لا يستطيع وضع فرضية أو فرضيات مسبقة، كما هو الحال في البحوث والدراسات الإثنوغرافية وبحوث النظرية المتجذرة أو المتأسسة، لأن الباحث الكمي يعكف على دراسة موضوع من دون تصورات مسبقة وراسخة عنه، مما يتعلق بأي من المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة، والربط بينهما. وعلى هذا الأساس فإن الباحث في البحث الكيفي لا يستطيع أن يتحدد بفرضية معدة مسبقا، أو يختبر علاقة بين متغيرات تكون معدة مسبقا. بل أنه يدرس جميع العوامل والمؤثرات في موقف معين، أي الخبرة الإنسانية بشكل كلي أولا. لذا فإن الباحث يأخذ ويشتق من المقابلات الاستطلاعية الأولى، أو الملاحظة الأولى معنى ومغزى ما يسمع، أو يرى، ثم يضع في ضوءه تخمينات تتطور لاحقا إلى فرضيات، يعمل على تأكيدها أو نفيها، من خلال بقية معلومات مقابلاته وملاحظاته اللاحقة ثم يخرج بالتفسيرات والنتائج.

4- المعاينة والعينات العشوائية في البحث الكمي والمقصودة في البحث الكيفي: عينات البحث الكمي تكون عشوائية(أو احتمالية) في الغالب، لتمثل مجتمع الدراسة، بعدد مناسب وكبير نوعا ما قياسا بعينات البحث الكيفي. أما عينات البحث الكيفي تكون مقصودة، عددها محدود(أقل من الإحتمالية عادة) ولكنها تؤمن غزارة وافية في البيانات والمعلومات. ويكون المشاركون في الدراسات الكمية عادة أفراد تتوفر فيهم خصائص الحالة المدروسة، ويتم اختيارهم بصورة هادفة من موقع ما.

(Caswell.p,2002,p51)

5- الاستبيان في الغالب يستخدم في جمع البيانات في البحث الكمي والملاحظة والمقابلة المعمقة في الكيفي: جمع البيانات في البحث الكمي يركز على أداة الاستبيان، وكذلك المقابلات أو الملاحظات المبنية بناء محكما، مسبقا أما في البحث الكيفي فتستخدم المقابلة المعمقة، غير النمطية، و/أو الملاحظة المشاركة غير المبنية بناء محكما مسبقا، و/أو الوثائق الرسمية والشخصية ذات العلاقة، وقد تختلف طريقة وأسئلة المقابلة في البحث الكيفي، بين فرد وآخر من أفراد مجتمع الدراسة، أو عينته. بخلاف الباحث الكمي الذي تكون فيه أسئلة المقابلة، مثل الاستبيان نمطية، ومعدة مسبقا.(عامر قنديلجي،إيمان السامرائي،2009، ص 64).

6- دور الباحث منفصل في البحث الكمي ودوره مرن في البحث الكيفي: يكون دور الباحث في الدراسات الكمية منفصلا عن الدراسة لكي يبتعد عن التحيز، في حين ينغمس الباحث في الدراسات النوعية في الموقف أو الظاهرة موضوع الدراسة. من جانب آخر لا يكون الباحث محايدا في البحث الكيفي، بل تكون لديه مرونة في التغيير في خطة البحث، وفق مجريات البحث والبيانات المجمعة، أو المطلوب تجميعها. بينما يستخدم الباحثون الكميون أدوات جمع البيانات بصورة موضوعية، في حين يؤكد الباحثون النوعيون على أهمية البيانات التي يتم جمعها، من قبل شخص ماهر، ومن خلال الدور التفاعلي والاجتماعي الذي يشارك فيه. (فريد كامل أبوزينة وآخرون، 2007، ص 33).

فبينما يسعى الباحث الكمي إلى التخلص من الذاتية من خلال التصميم المخطط له مسبقا، يعمل الباحث الكيفي على اعتماد الذاتية المنضبطة للبعد عن التحيز عن جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها. ويحكم على مصداقية البحث الكيفي من خلال قناعة ورأي القارئ(أو المشرف ولجنة المناقشة) في الآراء والاستنتاجات التي توصل إليها الباحث، وليس من خلال العمليات الإحصائية والمعادلات المستخدمة في البحث الكمي. وتعزز المصداقية في البحث الكيفي عادة بإستراتيجيات مشتركة مثل المطاولة في العمل الميداني والطرق المركبة في جمع البيانات، والاعتبارات المهنية، وتوصيفات الاستدلالات القانونية، والباحثون المساعدون أو المشاركون، وتسجيل البيانات بشكل آلي، وفحص وتدقيق الأعضاء المشاركون.

7- تصميم البحث الكمي تختلف عن تصاميم البحث الكيفي: ونعني بتصميم البحث الخطة والإجراءات المستخدمة للحصول على الأدلة. حيث تصنف البحوث الكمية عادة إلى بحوث تجريبية وأخرى غير تجريبية. ويكون لدى الباحث في التجريبية نوع من السيطرة على ما يحدث للأشخاص من خلال فرض أو حجب ظروف محددة بطريقة منظمة.ثم يقوم الباحث بمقارنة أشخاص الدراسة الذين خضعوا للظروف المفروضة والذين لم يخضعوا لمثل تلك الظروف، أو بين الأشخاص الذين مروا بظروف مختلفة. وللتصاميم التجريبية هدف آخر، هو دراسة العلاقة السببية بين الظروف التي جرى التحكم بها، أي المتغير المستقل في الدراسة، وبين النواتج المقاسة، أي المتغير التابع.

أما في تصاميم البحوث الكمية الوصفية غير التجريبية فلا يوجد تحكم بالظروف التي يمر بها الأشخاص موضوع البحث، وبدلا من ذلك يقوم الباحث بالملاحظة أو الحصول على قياسات من الأشخاص لوصف شيء ما أو حدث ما.

(فريد كامل أبوزينة وآخرون،2007، ص ص 36).

في حين تصاميم البحث الكيفي أقل تنظيما من تصاميم البحث الكمي؛ ففي البحث النوعي يتم تحديد الإجراءات خلال عملية البحث بدلا من تحديدها مسبقا، وتعتمد كل خطوة على المعلومات السابقة التي تم جمعها في الدراسة. وفي البحوث الكيفية يتم عادة دراسة السلوك كما يحثه بصورة طبيعية، ودون التحكم بالظروف أو الخبرات؛ وهي بهذا المعنى بحوث غير تجريبية.

ويصنف البحث الكيفي عادة في صنفين هما البحث الكيفي التفاعلي، والبحث الكيفي غير التفاعلي. ويعتمد البحث الكيفي على مصادر متنوعة للبيانات تتمثل في المشاهدات الميدانية، والمقابلات المعمقة، والوثائق والسجلات. كما تتطلب إجراءات البحث الكيفي أيضا تسجيل المواقف التي تمت مشاهدتها، والمقابلات التي تم اجراءها. وفي كثير من الحالات يتم المزج بين هذه المصادر في دراسة واحدة.

فالبحث التفاعلي هو بحث ميداني يعتمد في جمع البيانات على الاتصال المباشر ما بين الباحث والأشخاص من خلال المشاهدات الميدانية أومن خلال المقابلات المعمقة. أما البحث الكيفي غير التفاعلي فهو بحث وثائقي تحليلي أو تاريخي.

(فريد كامل أبوزينة وآخرون،2007، ص 39).

8- تحليل البيانات وتفسيرها: تحليل البيانات في البحث الكمي يتم بعد الانتهاء من جمع كل البيانات. بينما يتم تحليل البيانات في البحث الكيفي أثناء جمعها. ويساعد هذا النوع من التحليل على تحديد الخطوة التالية للباحث، في مقابلاته وطبيعة أسئلته، أو في مقابلاته وطبيعة تحركاته. وكذلك في تحديد الوثائق الرسمية والشخصية التي قد يحتاج إلى مراجعتها. وإضافة إلى التحليل أثناء جمع البيانات، في البحث الكيفي، هنالك تحليل شامل في نهاية جمع البيانات. لذا يستغرق تحليل البيانات، في البحث الكيفي وقتا أطول من تحليل البيانات في البحث الكمي.

من جانب آخر لا تركز البحوث النوعية على الطرق الرقمية والإحصائية في تفسير البيانات المجمعة والنتائج، كما في البحوث الكمية، بل تعمل على تفسير الظواهر المبحوثة بأسلوب سردي إنشائي يعتمد التعبير بعبارات وجمل توضح ماهية وطبيعة تلك الظواهر، وعلاقاتها المتداخلة مع بعضها.

9- مكونات وأجزاء البحث الكمي والبحث الكيفي مختلفة: يقدم تقرير البحث تصور شامل للبحث وإجراءات تنفيذه، ويتم ذلك بأسلوب متفق عليه من قبل جهات النشر، مع اختلاف في أشكال التقارير المستخدمة. ومن المهم الحكم على مصداقية البحث بشكل عام عند تقديم تقرير البحث. ويعتمد هذا الحكم على تقييم لأجزاء التقرير الرئيسية. فكل جزء يساهم في المصداقية الكلية للبحث. وهناك بعض الاختلافات بين أشكال تقارير البحوث الكمية وتقارير البحوث الكيفية، فالبرغم من عدم وجود شكل متفق عليه عالميا لتقديم البحوث الكمية، تلتزم معظم الدراسات بنسق الاستقصاء العلمي. ومع وجود تنوع واختلاف في المصطلحات المستخدمة، فإن معظم الدراسات تشمل التسلسل في المكونات التالية: الملخص، المقدمة، مشكلة البحث، مراجعة الأدب والدراسات السابقة، صياغة فرضيات أو أسئلة البحث، المنهجية وتشمل(الأشخاص والأدوات والإجراءات)، النتائج، المناقشة والاستنتاجات، وأخيرا المراجع.

ومن جانب آخر تتنوع الأشكال المستخدمة في تقارير البحوث النوعية بدرجة أكبر من تقارير البحوث الكمية. والسبب هو تعدد أنماط الدراسات النوعية. فبعض تقارير البحوث الكيفية لا تشمل على ملخص البحث، كما في البحوث الكمية. أضف إلى ذلك إن الدوريات العربية والأدبيات العربية تفتقر إلى تقارير البحوث الكيفية، مقارنة بتقارير البحوث الكمية المنشورة فيها.

وأخيرا فإنه بالرغم من عدم وجود طريقة وحيدة لتمثيل البحث الكيفي فإن العديد من تقارير البحوث الكيفية تضم: المقدمة، المنهجية، النتائج، التفسيرات، الاستنتاجات، المراجع، الهوامش(عامر قنديلجي، إيمان السامرائي، 2009، ص 68).

	البحوث الكمية	البحوث الكيفية
نوع البيانات	رقمية كمية	كلمات وألفاظ وعبارات
النظر الى الظاهرة	افتراض وجود حقيقة اجتماعية موضوعية واحدة	الحقائق متعددة
الهدف	يسعى البحث العلمي الى بناء علاقات وتفسير أسباب التغيرات في الحقائق الاجتماعية المقاسة ومن ثم الوصول الى تعميمات مفيدة	يهدف إلى فهم الظاهرة الاجتماعية من منظور المشاركين أنفسهم في حالتها الديناميكية.
دور الباحث	الباحث منفصل عن الدراسة لكي يبتعد عن التحيز	ينغمس الباحث في الموقف والظاهرة موضوع الدراسة
المناهج	المناهج الكمية: المسح، المنهج الاحصائي	المناهج الكيفية: الاثنوغرافي، تحليل الخطاب، التحليل السيميولوجي
الأدوات	الاستبيان، تحليل المحتوى	المقابلة، الملاحظة
العينات	العينات الاحتمالية: العشوائية البسيطة، المنتظمة، الطبقية، متعددة المراحل	العينات غير الاحتمالية: الصدفية، القصدية، الثلجية، الحصصية

أدوات البحث الكيفي	أدوات البحث الكمي
مرونة عالية في الأدوات	لا توجد مرونة
مشاركة كبيرة	مشاركة قليلة
تفريغ وتحليل البيانات خلال عملية جمعها	تفريغ وتحليل البيانات بعد عملية جمعها
فحص علاقات سببية	فحص علاقات ارتباطية
يهدف لفهم الظواهر في سياقها	يهدف لقياس شيء ما
عدد غير محدود من المتغيرات	عدد محدود من المتغيرات تبعا لوجودها في الاستبيان
أساليب وأدوات بحثية متعددة	أساليب وأدوات بحثية محدودة
دراسة الصيرورة التاريخية أو الظاهرة التاريخية	دراسة الظاهرة في لحظة محدودة زمنيا
عينة قصديه	عينة عشوائية
إمكانية دراسة الحالات المتطرفة والاستثنائية	إمكانية دراسة الحالات الاستثنائية محدودة
تحاليل إحصائية قليلة جدا	تحاليل إحصائية كبيرة
لا يمكن تعميم النتائج	يمكن التعميم
استخدام الطريقة الاستقرائية :يبدأ الباحث من البيانات التي جمعها أو المشاهدات التي لاحظها، النظريات تظهر أو تشتق من مجموعة البيانات أثناء جمعها وبعد تحليلها،بناء النظرية يتم خطوة خطوة.	اختبار النظريات بطريقة قياسية:تحديد النظرية الموجودة / بناء فرضيات افتراض علاقات، وعلى ضوء النتائج يتم قبول أو رفض أو تعديل النظرية.

III- استخدام المنهجين في البحوث العلمية:

يتم اللجوء إلى البحوث الكيفية عندما تكون هناك معرفة محدودة أو بسيطة عن مجال أو موضوع معين، وعندما يشك الباحث في المعرفة المتاحة في هذا المجال أو النظريات المتوفرة عنه، أو أن هذه النظريات يراها الباحث على أنها متحيزة، وعندما يكون سؤال البحث موجها أو يسعى لفهم أو وصف ظاهرة معينة أو حدث معين لا يعرف الباحث الكثير عنه أو تتوفر عنه

معرفة محدودة، ومن هذا المنظور فإن جزء من البحوث الاستكشافية(الاستطلاعية) يعد نوعا من البحوث الكيفية، ذلك أن البحث الاستكشافي يتم استخدامه عندما لا تتوفر معلومات كافية عن الظاهرة أو المشكلة محل البحث خاصة في حالة عدم توفر دراسات سابقة من قبل حول المشكلة محل الدراسة.

ونظرا لأن البحث الكيفي يعتمد في حالات كثيرة على دراسة الوثائق وتحليلها، فإن بعض البحوث التاريخية تعتبر نوعا من البحوث الكيفية، حيث يعتمد البحث التاريخي في حالات كثيرة على دراسة الوثائق وتحليلها وجمع الحقائق منها وتركيبها ثم تفسيرها من أجل فهم الماضي ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية.

ويلاحظ أن البعض ممن لا يفهمون الطبيعة أو المنظور المعرفي للبحث الكيفي يعتقدون أن البحوث الكيفية لا تتبع خطوات البحث العلمي المعروفة، إلا أن هذا الاعتقاد خاطئ لأن هناك خطوات محددة ومعروفة لإجراء البحث الكيفي، هذه الخطوات تعتمد الطريقة العلمية في البحث، إلا أنها قد تختلف في بعض إجراءاتها أو طبيعتها عن تلك المعروفة في البحوث الكمية.

هناك أمر آخر يتعلق بمدى جودة الدليل الذي تقدمه هذه البحوث، وهو أنها تدرس إدراكات الأفراد وتعتمد في التحليل على المواقف والأحداث، وهنا قد تكون تقارير هذه البحوث متحيزة، وقد تتناقض نتائجها، إلا أننا يجب أن نلاحظ أن البحوث الكيفية لا تبحث عن الموضوعية أو الاختلاف بين آراء الأفراد أو التقارير، وإنما المهم هو أن يكون هناك موضوعية في تسجيل ادراكات الأفراد كما تحدث تماما ووصفها بشكل موضوعي دون تدخل من الباحث.

على النقيض من البحث الكيفي فإن البحث الكمي يبحث عن الأسباب والحقائق من منظور أوسع وأشمل، وعن العلاقات بين المتغيرات حتى يمكن تفسير علاقات السبب والنتيجة بين هذه المتغيرات، ويصبح من الممكن التوصل إلى تنبؤات دقيقة بخصوص الظاهرة أو الظاهرة محل الدراسة.

يتم استخدام البحوث الكمية عندما تكون هناك معرفة متوفرة حول الموضوع الذي يرغب الباحث في دراسته، بمعنى أن هناك نظريات محددة وأدبيات سابقة تتوفر لدى الباحث، كما أن درجة وضوح الظاهرة أو المشكلة محل الدراسة تمكن الباحث من استخدام المدخل الكمي في البحث، هذا إضافة إلى توفر مقاييس ثابتة وصادقة إحصائيا عن المتغيرات المراد دراسة العلاقات بينها، وسوف نورد في الجزء التالي مباشرة عددا من المعايير التي تساعد الباحث عند اختياره بين المدخلين الكيفي والكمي.

(عادل محمد ريان، 2003، ص ص 4-7).

خاتمة:

من خلال هذه المحاضرة تم التعرض إلى أوجه الشبه والاختلاف بين البحثين الكمي والكيفي، و اتضح الفرق بين البحثين يتعلق بجذورهما الفلسفية. فالبحث الكمي منطلق من الفلسفة المنطقية الوضعية ، التي ترى أن المعاني مستقلة عما نراه من حولنا من أشياء، وأنها (أي المعاني) من الممكن تفتيتها إلى أجزاء صغيرة قابلة للقياس عن طريق مقاييس موضوعية. أما البحث الكيفي فمنطلق من الفلسفة البنائية الاجتماعية ، التي ترى أن هناك حقائق متعددة وأن الحقيقة في واقع أمرها، لها مستويات وأبعاد متعددة، وأن المعاني يمكن فهمها من خلال مستويات متعددة، عن طريق السياق الاجتماعي.

وفي الواقع هناك خلافا جدليا بين أنصار كل بحث، ومع ازدياد نبرة الخلاف وحدته، بدأت تظهر مؤخرا الآراء التي تنادي بأن كلا البحثين له مزاياه وله عيوبه، وأن هناك متسعا في العلوم الإعلامية لكليهما، وعليه فكلاهما مطلوب وحقيقة الأمر أن هذين البحثين مكملان لبعضهما، إذ أن كلا منهما ينظر إلى الظواهر الإعلامية من زاوية مختلفة. وقد يتبادر إلى الذهن في أول وهلة سؤال يتعلق بكيفية أو مدى إمكانية دمج هذين المنهجين. ويمثل التعدد المنهجي، الوسيلة الوحيدة للجمع بين هذين المنهجين في دراسة واحدة، إذ بإمكان الباحث أن يستخدم المنهجين الكمي والكيفي معا في دراسة الظاهرة نفسها مستخدما التعدد المنهجي، وهذا ما سنتطرق إليه في المحاضرة الموالية البحث المزدوج.